مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥، العدد ٤، شتاء ١٤٤١هـ
صفحة ٦١٣-٦٣٢ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

الاتساق المعجمي في رسائل نهج البلاغة
(رسالة الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر النخعي نموذجا)

سكينة محمدي[1*]، إنسية خزعلي[2]

١. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي، مشهد، إيران
٢. أستاذة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء، طهران، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٣/٩؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٧/١٧)

الملخّص

يُعدّ الاتساق من الأمور الأساسية والمهمة في انتقال المفهوم إلى المتلقي والاتساق المعجمي الذي يتجلي فيه التكرار والتضام بأنواعهما المترادفة والمتضادة وبأشكالهما الشكلية والمضمونية يلعب دورا هاما في هذا المضمار. كما أن استمرارية النص تتحقق بالترابط المنطقي بين أجزاء الكلام خاصة بين الكلمات في تراكيب الجمل أو العبارات. التكرار والتضام يحفظان العلاقات القائمة المتنوعة بين الألفاظ في اللغة. كتب الإمام علي عليه السلام هذه الرسالة حينما ولى مالك الأشتر على مصر وأعمالها وهي أطول رسالة وأجمعها للمسائل الإجتماعية والسياسية وتحتوي على مواضيع مختلفة منها: ضرروة بناء الذات وأخلاق القيادة والتجنب من الخصائص السيئة ولزوم العدالة والعمران والتحذر من الأنانية والمن و... إن التعرف على التماسك النصي في هذه الرسالة الحكومية والبحث عن المحاور اللغوية الأصلية منها والفرعية في التحليل المعجمي يبين التركيز الأساسي في تنظيم أمور البلاد وإمعان النظر في الأولويات الإجرائية كدستور حكومي. الإمام بالتكرار والتضام قام بعرض أولويات حكومة صالحة فبالتكرارات يؤكد على هذه الأولويات ومن أهمها العناية بنظارة الله وحفظ النفس بالتقوى والمحافظة عليها والحيلولة دون طغيانها فمراعاة الرعية ثم التأكيد على الحق وحسن السلوك .وبالتضام يشير إلى بعض الأوامر والنواهي في الله والرعية حيث يرسم بهاالخطوط الحمراء للوالي وكيفية تصرفاته للجذب والدفع أو الإنضمام والإنفصال ويعطي المعيارية في العمل كما ينبه الوالي إلى الأخذ بآراء الناس والتوجه إلى كيفية حكمهم عليه والتكرار والترادف والتضاد من الآليات الموثرة في تبيين قصد الامام وتثبيت اولوياته للولاة. يتبع المقال المنهج الوصفي-التحليلي في رسالة الإمام علي عليه السلام ويتمتع في جمع البيانات من المنهج المكتبي.

الكلمات الرئيسة

نهج البلاغة، الاتساق المعجمي، التكرار، التضام، رسالة الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر.

---

* الكاتب المسؤول
Email: s459mohammadi@gmail.com

مقدمة

للإتساق بنوعيه المعجمي والدلالي دور هام في فهم النصوص. ويهدف هذا البحث إلى معالجة الاتساق المعجمي في عهد الإمام علي لمالك الأشتر النخعي وهذا الاتساق يسبب نوعا من التوالي في العهد؛ إذن فهم هذا التوالي يسهل الأمر على القارئ لكي يفهم العلاقات القائمة بين أجزاء الكتاب وما سلط الإمام عليه الضوء للحكام. والمحاور المتناولة في هذا البحث تشتمل على لفظ الجلالة، الحق، النفس، الرعية والناس وهي أكثر تكرارا فيه؛ مما تؤدي إلى التماسك بين أجزاء النص.

هذا العهد وهو أطول رسالة بين رسائل الإمام، يعالج الموضوعات المختلفة منها: ضرورة بناء الذات وأخلاق القيادة، والتجنب من الغرور والأنانية، وكيفية جلب رضا العامة أو رضا الخاصة، والقيادة والروابط الاجتماعية ،والمشورة ومكانها الصحيح، وأفضل العسكريين، وأفضل المسؤولين، والأخلاق الخاصة للوالي و... وهذه الرسالة ليست رسالة لحاكم مصر فحسب بل تخاطب جميع الحكام في جميع الدول بما أن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان حينما يواجه هذه العبارة من العهد: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية،و المحبة لهم، واللطف بهم، ولاتكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، فيقول:«إن هذه العبارة من رسالة الإمام علي لمالك الأشتر يجب أن تعلق على كل المؤسسات الحقوقية في العالم» (السند، ١٤٢٨: ٣٦٤). وجعلته حتى ينادي بأن تدرس الأجهزة الحقوقية والقانونية، عهد الإمام علي لمالك الأشتر، وترشيحه لكي يكون أحد مصادر التشريع للقانون الدولي.. (السند، ١٤٢٨: ٣٦٥).

الشريف الرضي من العلماء الكبار في القرن الرابع وهو رجل أديب وشاعر عارف بفنون الكلام معياره في اختيار كلام الإمام هو الفصاحة والبلاغة ومن هنا هذه المجموعة مسماة بـ نهج البلاغة بما تحتويها من الخطب والحكم والرسائل، تتضمن معارف مختلفة كمعرفة الله تعالى وطبيعة نشوء العالم والإنسان والأمم والحكومات الصالحة والفاسدة ورسائل الإمام عليه السلام إلى عمّاله بضرورة رعاية حقوق الناس.

مالك بن الحارث الأشتر من أكابر حزب علي وعظماء شيعته شديد الالتحاق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، «يحتمل أن يكون تلقيبه بالأشتر؛ لانقلاب جفن عينيه، ويحتمل أن يكون ذلك أخذا من لقب الديك، فإنه يسمى أشتر وإنما لقب بذلك وصفا بالشجاعة، وتشبيها له في

لقط الرجال في الحرب بالديك في لقط الحبوب وانتقائها» (الحسيني، ٢٠٠٢: ج٥/٧٤٩). ويمكن التعرف على مالك الأشتر من خلال كلام أمير المؤمنين أيضا وقال لهم في كتاب:

«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اَللَّهِ لاَ يَنَامُ أَيَّامَ اَلْخَوْفِ ولاَ يَنْكُلُ عَنِ اَلْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ اَلرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى اَلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ اَلنَّارِ وهُوَ مَالِكُ بْنُ اَلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ اَلْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اَللَّهِ لاَ كَلِيلُ اَلظُّبَةِ ولاَ نَابِي اَلضَّرِيبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ ولاَ يُحْجِمُ ولاَ يُؤَخِّرُ ولاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ» (نهج البلاغة، كتاب ٣٨)

الدراسات السابقة في نهج البلاغة غير قليلة ولكن بعض البحوث عالج كلام أمير المؤمنين من جهة نصه خاصة فيمكننا أن نخلصها كما تلي:

١- الاتساق الصوتي في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر دراسة في ضوء لسانيات النص، حوراء غازي عناد السلامي، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٧. تعالج الباحثة الميزات الصوتية التي تؤدي إلى التماسك في النص والاتساق الصوتي وتشتمل على السجع والجناس والتغنيم والبحث هذا ركز على الاتساق الصوتي ولا المعجمي.

٢- الاستبدال وأثره في سبك النص عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر أنموذجا، مجيب سعد أبو كطيفة، مجلة الباحث، العدد ٢٧: ٢٠١٨ كما يوضح لنا عنوانه بأنه اختار الإستبدال من آليات الاتساق النحوي. هناك بحوث أخرى وحاول الباحث معالجة كلام أمير المؤمنين معجميا ونحويا في خطبة الجهاد كالتالي:

٣- مظاهر الاتساق النحوية والمعجمية في خطبة الجهاد، حسن هادي نور وورود سعدون عبد، مجلة كلية التربية جامعة المثنى، ٢٠١٩. كما يبدو قام البحث بتبيين مظاهر الاتساق بنوعيه النحوية والمعجمية في خطبة الجهاد والتركيز في البحث الحالي على عهد الإمام علي لمالك الأشتر.

تهدف هذه المقالة إلى دراسة مؤشرات الاتساق المعجمي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هو دور الاتساق المعجمي في تنسيق الأوامر المختلفة في هذه الرسالة؟ كما أن يبحث هذا المقال عن المحاور اللغوية الاصلية والفرعية له، ليساعد الحكام على التركيز الأساسي في تنظيم برامجهم وإمعان النظر في الأولويات الاجرائية لما في هذه الرسالة من الأوامر والنواهي المؤكدة والمرتبطة كدستور حكومي لتشكيل حكومة صالحة.

الاتساق[1]

مصطلح cohesion من المعايير النصية السبعة وقد اختلف العلماء في تعريفه فيعادل الاتساق والسبك والربط والتماسك وهو يتعلق بالألفاظ وظاهر النص، عكس الانسجام وهو يرتبط بالمعنى والدلالة.

الاتساق من الأمور الأساسية لانتقال المفهوم إلى المتلقى والاتساق اللغوي بنوعيه التكرار والتضام وبأنواعهما كالترادف والتضاد، يلعب دورا بارزا في هذا المضمار. بما أن التكرار يحرص على استمرارية النص والتضام يحفظ العلاقات القائمة المتنوعة بين الألفاظ في اللغة مثل علاقة التضاد وعلى هذا الأساس يرى المتلقي النص كسبيكة؛ إذ ترتبط أجزاء الكلام مع بعضها البعض، من البداية حتى النهاية.

و«يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص ونعنى بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها؛ بما هي كم متصل على صفحة الورق وهذه الأحداث والمكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنها لاتشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته» (مصلوح، ٢٠٠٦: ٢٢٧)، والسبك أو الاتساق بنوعيه المعجمي والنحوي يضمن استمرارية النص. الاتساق المعجمي يكون بين المفردات، في حين أن الاتساق النحوي يتحقق بالعطف والإحالة .وهذا المقال يركز على المستوى المعجمي بنوعيه:

الاتساق المعجمي[2]

الاتساق المعجمي يربط بين جمله بدون وصل أو إحالة، وإنما عبر العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص ووحدات من جمله، ويحققه التكرار والتضام تبعا لما قاله الخطابي بأنه «يعتبر الاتساق المعجمي، آخر مظهر من مظاهر اتساق النص» (الخطابي، ١٩٩١: ٢٤).

١. التكرار[3]

هناك كتب عديدة ومختلفة من التراث والمعاصرة تطرقت إلى ذكر التكرار بأنواعه؛ فيقول الحموي: «إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك

1. Cohesion
2. Lexical recurrence
3. Recurrence

التأكيد» (٢٠٠٥: ج٢/٤٤٩). وابن الأثير يقسم التكرار إلى قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في اللفظ دون المعنى. (ابن الأثير، ١٩٩٠: ج٦/١٤٧) ويمكن أن يكون تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ بقصد التأكيد. (محمد عبدالراضي، ٢٠٠٨: ١٢٨)

فيما بعد تطور مصطلح التكرار (أو الإعادة) كشكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف (خطابي، ١٩٩١: ٢٤) وأيضا أظهر وسائل السبك وأدناها إلى الملاحظة المباشرة فله دور في تدعيم نصية النص، (مصلوح، ٢٠٠٣: ٢٣٧) والتكرار يذكر بعضه البعض ويجعل النص متماسكا وتتحقق به استمرارية النص، يقول صبحي إبراهيم في هذا الصدد: «إن التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، لتحقيق أغراض كثيرة. (إبراهيم، ٢٠٠٠: ج٢/٢٠) ومن أهم هذه الأغراض الاتساق بين عناصر النص بالمضمون النصي أو القصصي. (جدرة، ٢٠١٤: ٣١) والقاعدة الاولية في التكرار أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الصلة بالمعنى العام وإلا تكون لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها، إلا إذا بررت وجودها بجماليات خاصة (رمضان السيد، ١٩٩٦: ٦٥) اعتمادا على أن التكرار يمكن أن يجلب الملل للقارئ يجب أن يكون التكرار متناسقا مع النص فيتضمن نصية النص ليعطي القارئ فكرة عن مفهوم النص وما يتضمنه هذا النص.

على ضوء ما سبق في هذه المقالة من عناصر الاتساق المعجمي من التكرار والتضام بأنواعهما، يبين البحث مثالا على ما ورد من عناصر الاتساق المعجمي (التكرار في رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر) كما يلي:

التكرار في رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر:

يوجد التكرار والتضام بأنواعه في هذه الرسالة ولكن بعض الألفاظ تتكرر أكثر من الأخرى فترتيب التكرارات في هذه الرسالة يسلط الضوء على نقاط التركيز في كلام الإمام عليه السلام.

لفظ الجلالة:

إن الإمام بشكل عام يكرر لفظا ما ويؤكد عليه ومن هذه الألفاظ: لفظ الجلالة يكرره ٧٢ مرة، دون احتساب الضمائر التي تعود إليه وهذا يدل بأن الإمام يعود في أموره إلى الله سبحانه وتعالى ويأمر واليه مالك الاشتر، أيضا أن يضع الله نصب عينيه في حكمه وفي كل تصرفاته في الحكومة ومن البداية يأمره بتقوي الله ونصر اللهَ بقلبه ويده ولسانه فيدعوه

إلى الخضوع أمام ملك الله فيحذره من الغرور والانانية وحتى يرى نفسه تحت رقابة الله جل جلاله. حينما يقول الإمام عليه السلام : "أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ " فيريد أن يتذكر بأن مالك الأشتر مبدئيا يجب عليه أن يتقى الله ويتبعه في الفرائض والسنن ليسير في النهج الصائب ويمكن القول حينما تكون التقوى معدومة لدى الوالي سيواجه المشاكل العديدة أمام رعيته لأن وعد الله سبحانه وتعالى صدق وبما أنه قد تكفل أيضا بنصر من نصره وإعزاز من أعزه كما يقول الإمام عليه السلام حينما يأمره بالعفو يذكره بعفو يتأمله من عندالله سبحانه وتعالى ويقول:

«... فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ اَلَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اَللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ووَالِي اَلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاَللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ وقَدِ اِسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وابْتَلاَكَ بِهِمْ ولاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اَللَّهِ فَإِنَّهُ لاَ يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ولاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ ولاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ولاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ».

أو عندما يريد أن يقوم بتحذيره من الكبر والأنانية يذكره بعظمة الله سبحانه تعالى فيقول:

«وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اَللَّهِ فَوْقَكَ وقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ويَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ إِيَّاكَ ومُسَامَاةَ اَللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ واَلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ».

فيقول الإمام لمالك: نتيجة الكبر نتيجة واضحة جدا وهو الذل والهوان: «فَإِنَّ اَللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ويُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ والفرق بين الذل والهوان: إن إذلال الرجل للرجل هنا أن يجعله منقادا على الكره أو في حكم المنقاد والإهانة أن يجعله صغير الأمر لايبالي به. والإذلال لا يكون إلا من الأعلى للأدنى والاستهانة تكون من النظير للنظير والفرق بين الذليل والمهين يقول: إن المهين هو المستضعف» (العسكري، ٢٠٠٠: ٢٨١).

ويحذر مالك الأشتر من الغرور والأنانية حينما يقول له: «إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ» بأن الإنسان حينما يخضع أمام الخالق يستطيع أن يخضع أمام المخلوق وخاصة باالنسبة للأمراء ويحتمل أن يصيبوا بالغرور فيتشبهوا بالله في جبروته.

وكل هذه الأوامر والنواهي تتم بذكر الله والتأكيد عليه في هذا المضمار. وهنا نعود إلى صلب الموضوع يعني الاتساق المعجمي ونلاحظ تكرار لفظ الجلالة ودور الاتساق المعجمي في

إبراز التكرار وتشابك الألفاظ المتكررة في النص فنلاحظ أن الإمام علي عليه السلام يأمر مالك الأشتر أن يضع الله سبحانه وتعالى نصب عينيه في حكمه وتصرفاته ويأمره بتقوى الله ونصرالله ويحذره من الغرور والأنانية وليرى نفسه تحت عين الله جل جلاله.

ويزداد التأكيد من خلال التكرار حينما يذكر الإمام مالك الأشترَ بالطبقة السفلى كما هو واضح في النص.

ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ.

ويأمره بألّا يضيع حقوق هذه الطبقة من الرعية بذريعة انشغاله في الحكومة.

ونلاحظ أن الإمام علي عليه السلام عندما يأمر مالك الأشتر أن يضع الله نصب عينيه ويعود في حكمه إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان حينما يذكر الله فلا يغر وبخلاف ذلك إن الإنسان إذا نسى الله يصبح غير آمن من الزلل والأخطاء.

الإمام يركز على ذكر الله ويكرره مرة بعد أخرى في الإشارة إلى حقوق المساكين والبؤساء وخطابه إلى المالك بين الأمر والنهي: الأمر بمعالجة أمورهم والتصدي لحاجاتهم والنهي من الظلم والاستخفاف والإهمال في حقهم وفي الموضعين ينبه على حق الله فيهم والمسؤولية الكبيرة عندالله على عاتقه.

النفس:

يستخدم الإمام في هذا النص "النفس" ٣١ مرة ويريد أن يوصي مالك ببناء نفسه والمحافظة على ما تهوي به النفس. وبناءً على هذا يكرر النفس ويعد بها امراض النفس ويحذر منها وكيفية معالجتها في حالة الابتلاء بها ويوصي واليه بالتقوى والمحافظة على النفس والحيلولة دون طغيانها: الأمر الذي يعد من مزالق الحكام والولاة ويمكن أن نقسم تكاليف النفس في رؤية الإمام في ما يلي:

الف) الاتصال بالله وعدم محاربته

ب) لزوم الحق والإنصاف في الحكم بينها وبين الناس

ج) حفظ النفس في الطمع وجمع الأموال

د) التذكير بعدم الإعجاب والغرور

- ... ولاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اَللَّه...
- ... لاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ولاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ
- أَنْصِفِ اَللَّهَ وأَنْصِفِ اَلنَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ...
- ... إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ اَلْوُلاَةِ عَلَى اَلْجَمْعِ...
- ... ولَيْسَ يَخْرُجُ اَلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اَللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالاِهْتِمَامِ واَلاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ اَلْحَقِّ واَلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ
- ... واجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ اَللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ اَلْمَوَاقِيتِ
- ... وإِيَّاكَ واَلْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ...

إن الركيزة الأساسية في هذا النص هي كلمة "النفس" والمقصود هنا نفس الإنسان التي قد تطلب ما ليس لصالحها ويجب على الانسان أن يراقبها لكي لاتقع في معصية الله سبحانه وتعالى.

الحق ومشتقاتها:

حينما يريد الإمام أن يؤكد على الحق لمالك، فهو يأتي بتكرار هذه الكلمة وهنا يبرز دور تكرار كلمة الحق في تشابك النص:

- ... يُشَابُ اَلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ...
- ... وأَلْزِمِ اَلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ اَلْقَرِيبِ...
- ... اَلتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ اَلْحَقِّ...
- ... إِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى اَلْحَقِّ...
- ... ولَيْسَتْ عَلَى اَلْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ اَلصِّدْقِ مِنَ اَلْكَذِبِ...
- ... لَيْسَ يَخْرُجُ اَلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اَللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالاِهْتِمَامِ وَاَلاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ اَلْحَقِّ وَاَلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ...
- ... ولْيَكُنْ أَحَبَّ اَلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي اَلْحَقِّ...

ويشير إلى أن الحق يعتبر من النقاط الهامة التي يجب أن يهتم بها الحاكم لكي لايختلط مع الباطل ولايزول في الإجراءات الحكومية ويؤكد الإمام بتكرار كلمة "الحق" وجوب الإلتزام به كجزء من شبكة القوانين الحكومية. وفي التذكير بالحق يشير إلى أمور هامة ترتبط به ومنها:

الف) معرفة الحق وعدم المفارقة منه

ب) تمييز ما يشابه الحق وطرد الباطل عنه

ج) التسليم للحق وملازمة الإنصاف وإن كان صعبا ومخالفا لمصالحه

الحسن ومشتقاتها:

إضافة على ما ذكر، هناك ألفاظ تتكرر في مواقف مختلفة وتجعل الفقرة كنص متكامل وبهذه الألفاظ يمكن أن نميز ما أكد عليه الإمام ويخاطب مالك الأشتر لاسيّما ومسؤولي كل حكومة في كل أزمنة، لكي يراعوا ما على عاتقهم.

مثل كلمة "الإحسان" بشكل عام و"حسن الظن" بالرعية بشكل خاص:

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ...

ويدعو الإمام، الوالي إلى الإحسان ونظرا إلى أن الإحسان يؤدي إلى حسن الظن بين الرعية وبتكراره يريد أن يؤكد على أهمية الإحسان ثم حسن الظن بين الراعي والرعية. وهو يؤكد في هذا النص على كلمة الإحسان بشكل عام وحسن الظن بشكل خاص ويبين ألا يكون المحسن والمسيء بمنزلة واحدة على حد سواء. ونلاحظ تأكيد الإمام بحسن الظن بالرعية.

إضافة على ذلك، تم توظيف الحسن ومشتقاته أكثر من السوء ومشتقاته حيث نشاهد تكرار الحسن ٢٦ مرة والسوء ٨ مرات، فيمكن أن يدلنا هذا الأمر نحو قصد الإمام بألتوجه الى الإيجابيات أكثر من السلبيات يعني عدم الاهتمام بالسلبيات وتكرارها يعتبر طريقة للنهي عن إنجازها وبالعكس الإهتمام بالإيجابيات وتكرارها يؤدي إلى ثبوتها في الأذهان.

الرعية:

يكرر الإمام لفظ الرعية عشرين مرة ولفظ الناس خمسة عشر مرة كما ذكرنا آنفا. الرعية والناس كلمتان تدلان على مدلول واحد تقريبا، ولكن الفيروز آبادي يقول عن الرعية و«الراعي كل من ولى أمر قوم والقوم رعية» (الفيروزآبادي، ١٨٧٤: فصل الراء باب الياء) «اسم للجمع من بني آدم» (أنيس والآخرون، ٢٠٠٤). يعني مفهوم الناس أوسع نطاقا من الرعية. بالنسبة إلى

الوالي، كل رعية ناس ولكن ليس كل الناس رعية. ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال: لماذا يستخدم الإمام مرة الرعية ومرة أخرى الناس؟ يمكن القول بأن الإمام حينما يستخدم الناس يريد أن يشير إلى بعض الموضوعات بشكل عام، يوظّف "الناس" مثلا حينما يقول:

وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ" أو " فإن في الناس عيوبا" أو " وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ" أو "وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ" و...

الإمام يريد أن يعم كلامه لعموم الناس بكلمة الناس ويقصد بهؤلاء الناس، الذين كانوا يعيشون قبل ولاية مالك الأشتر على مصر أو يعيشون حاليا في زمن حكمه في مصر ويمكن القول إن الإمام يشير بكلمة الناس إلى ما يرتبط بكل الناس في كل أرجاء العالم مثلا حينما يقول إن في الناس عيوبا... ويريد من الوالي أن يستر هذه العيوب فهذه العيوب موجودة في كل الناس ولا تختص بالشعب المصري. وفي الجدول (رقم ١) نشاهد مدى تواجد هذه الألفاظ في الرسالة:

الجدول (١) مدى تواجد المفردات الأكثر تكرارا في النص

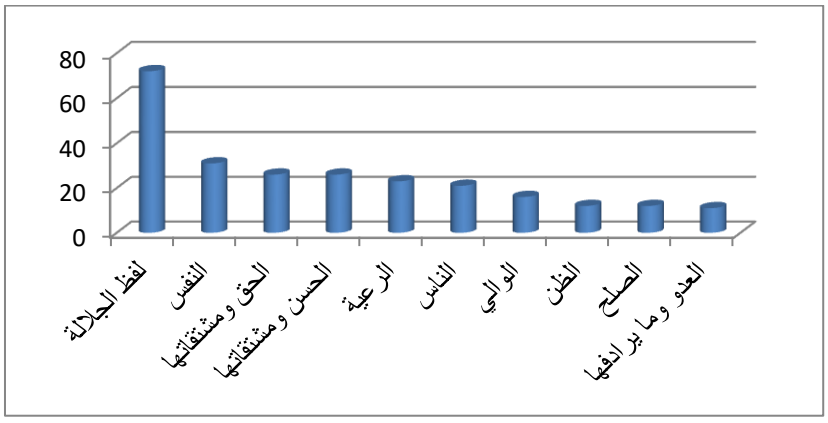

وبالتالي يشير إلى رؤية الإمام في الرعية وكيف يقوم الإمام بتقسيمهم:

أيضا رعى يرادف «حرس، حفظ، صان، وقى، حمى» وأضداده «اعتدى، ضر، آذى، أساء» (الضناوي، ٢٠١٣: ٢٧١). وأيضاً «الرعاية فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه وهي نقيض الإهمال» (العسكري، ٢٣١). يوظّف الإمام لفظ الرعية أكثر من الناس حتى يؤكد عليها أكثر فينظر إليهم بنظرة خاصة والوالي مسؤول عنهم ويأمر مالك أيضا أن يمعن النظر فيهم بشكل خاص لأنهم الرعية والوالي هو الراعي ويكون شأن الراعي على قدر المسؤولية أمام الرعية وعلى هذا المنوال يخصص الإمام كلامه بلفظ "الرعية" ويطلب من مالك الأشتر وهو في حالة الحكم

عليهم. حينما يقول الإمام"وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ" بشكل عادي يجب أن نتعامل مع الناس بالرفق والرحمة وولانستغلهم بسبب ضعفهم فيشتد هذا الأمر حينما تصبح العلاقة، علاقة الوالي والرعية. فالوالي في موضع القدرة والرعية ستكون أضعف قدرا بالنسبة إلى الوالي. ولهذا يؤكد الإمام في رسالته على مراعاة شؤون الرعية "لأن قانون الإمارة الاجتهاد في رضا العامة فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة، فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ج١٧/٢٥).

وهنا نورد نموذجا آخر ويشير الإمام إلى قضية مراعاة الرعية: «"وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ" أو حينما يعتبر الجنود حصينا للرعية "الْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوُلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ" يعد الإمام سمات مسؤولي الحكومة ومن هذه السمات الرفق بالرعية "ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ"».

مبدئيا يجب على الوالي أو الساسة ـ الذين يمتلكون زمام الأمور ـ أن يراعوا مسألتين: حق الله وحق الناس في الله.

وفي سياق هذا النص نرى تأكيد الإمام عليه السلام على مصطلح الرعية والناس والوالي، لأن مراعاة حقوق الناس هي من أهم واجبات الراعي والوالي وجعله الإمام أكثر اهتماما بالنسبة إلى الوالي كما نلاحظ مدى انعكاس هذه التكرارت في الجدول (٢):

الجدول (٢): مدى توظيف كلمات الرعية والناس والوالي في العهد

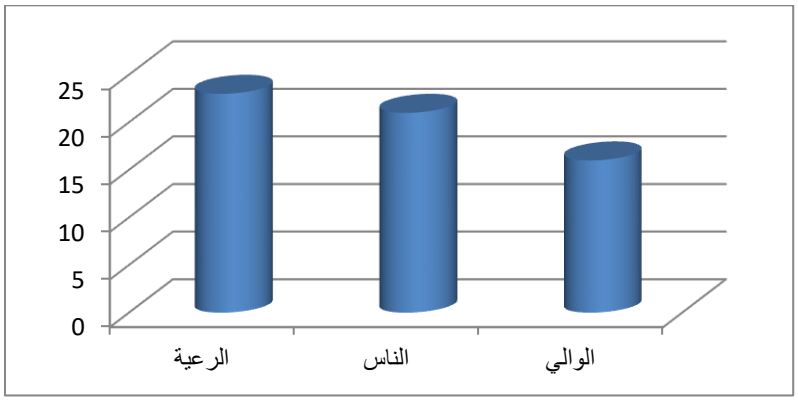

مازلنا في موضع الرعية والناس ومدى مراعاة الراعي لحقوق الناس فلابدّ أن يعرف كل مسؤول ما هي أولوياته إزاء الناس هل هو على قدر المسؤولية تجاه رعيته؟ هل بإمكانه أن يقدم الخدمة لهذه الرعية؟ وكما هو معروف، أنه لاتتم الخدمة بالقلب واللسان بل تتحقق باليد، ويعتبر القلب واللسان ممهدان للخدمة ولا تفيد الاتفاقيات والشعارات إلا حينما يكون وهناك تطبيق عملي لهذه الشعارات؛ لأن كل الولاة يظهرون بأنهم يكونون في خدمة الناس وإنما هذا بقلبهم ولسانهم والرعية لايصدقونهم إلا بعد أن يروهم في مرحلة التطبيق العملي وإن يرى الحكام أقوالهم في أعمالهم وهم صادقون فعلا، قلبا ولسانا كما نرى في الجدول (رقم ٣):

الجدول (رقم ٣): مدى توظيف القلب واللسان واليد في النص

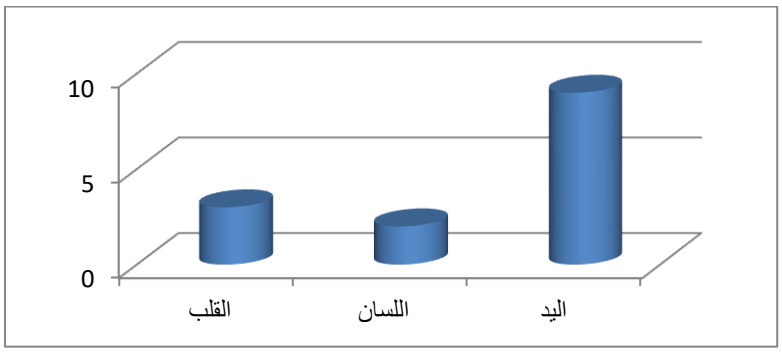

فيما يخص بقضية الرعية ننتقل إلى الركيزة الأساسية وهي العفو وقد أشار الإمام في هذا النص إلى مسألة العفو والتي استخدمها لبواعث مختلفة وبين أهمية العفو على الرعية:

« يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ...».

أشار الإمام في هذا النص الى مسالة لاتقل أهمية من العفو ويحث مالك الأشتر إلى ستر عيوب الرعية كما يستر الله علينا عيوبنا، في حين أنّه يؤكد على ضرورة حفظ السر:

«وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ».

بعد ما أوردنا نماذج عديدة فيما يخص دور التكرار في الاتساق اللغوي ننتقل إلى عنصر آخر من الاتساق اللغوي وهو التضام:

التضام[1]:

يعتبر التضام أو المصاحبة المعجمية من مكونات الاتساق المعجمي و«هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة» (خطابي، ١٩٩١: ٢٥). وعلاقات الحاكمة للتضام متنوعة وتشتمل على: «التضاد والتنافر وعلاقة الجزء بالكل» (عفيفي، ٢٠٠١: ١١٢)؛ فلذا الاتساق المعجمي بواسطة علاقة التضام يتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقة معجمية دون وجود التكرار. والطباق أكثر تواجدا من المؤشرات الأخرى للتضام كما يأتي شرحه:

الطباق من عناصر التضام وهو يعتبر إحدى عناصر و«كجزء من بنية كلية تتضافر فيما بينها، لإنتاج النص» (عيد، لاتا: ٢٣٧). و«للتضاد أثر في ايصال المعاني المراد التعبير عنها» (نورالدين، ١٩٩٩: ٨٣).

يتحقق التضاد في اللغة بطريقين هما:

١) طريق الايجاب

٢) طريق السلب

طريق الايجاب وهو نوعان، الأول عادتًا ما يكون في الكلمة الواحدة بأن تحتمل الكلمة نفسها، معنيين متضادين وهو ما يعرف بالاضداد مثل كلمة سدفة التي تعني الظلمة والضوء.

وأما النوع الثاني فيكون بأكثر من الكلمة، مثل الخير والشر.

ثانيا طريق السلب: بيدَ أنه أكثر ورودا في الإستعمال من الطريق الأول بسبب كثرة أشكاله ووسائله وسهولة تحققه ويفيد السلب التضاد مقترنا بطرفه الموجب ذكرا أو حذفا أو تقديرا أو استدعاء. (الساحلي، ١٩٩٧: ١٩٤)

يمكن تقسيم التضاد بحسب استعمالاته إلى ثلاثة مستويات:

- مستوى الكلمة الواحدة
- مستوى الموقف
- مستوى الأسلوب

1. Collocation

«في المستوى الأول ترد الكلمة وضدها في العبارة مثل الخير والشر وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف/١٧) والمستوى الثاني للتضاد وهو مستوى الموقف حيث يشتمل الموقف على الشيء وضده ... وهو نوع وارد في القرآن الكريم حيث تتجاوز فيه صور الكفار والمسلمين، أهل الجنة وأهل النار وحزب الله وحزب الشيطان... والمستوى الثالث هو مستوى الأسلوب ويتضمن التعبير غير المباشر بالتضاد أو إيراد الضد أو استدعاء وهذا تدخل الكناية والتعريض والاستفهام البلاغي والتعبير بالضد وحده وليس بضدين معا سواء بكلمة أو بأكثر وإنما مؤشر السياق هو الذي يقود إلى الضدية» (الساحلي، ١٩٩٧: ٢٣٤-٢٣٥). وفي القسم التالي نلقي الضوء على التضام في هذه الرسالة:

التضام في رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر:

التضام أو المصاحبة المعجمية التي تؤدي إلى الاتساق اللغوي في النص، تتجلي بأنواعها المختلفة في كلام الإمام عليه السلام ولكن نجد التضاد اكثر استعمالا ثم بدل الجزء من الكل أكثر من سائر وسائل التضام. فلنبدأ بالتضاد ونشرح كيف يوظّف الإمام التضاد لبيان أوامره وتوجيه الوالي وكيف يؤدي هذا التضاد إلى الاتساق المعجمي والتماسك بين أجزاء النص.

التضاد:

يستخدم الإمام التضاد لتحقيق التضام في الرسالة ولكن المقال، مبدئيا، يذكر دور التضاد في اتساق الكلام: إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولايعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على أحد المعنيين دون الآخر ولايراد في حال التكلم والأخبار إلا معنى واحد. وهذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب وأكثر كلام يأتي على ضربين آخرين: أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك الرجل والمرأة والجمل والناقة واليوم والليلة... والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد كقولك البر والحنطة والعير والحمار وجلس وقعد. (الأنباري، ١٩٦٠: ٢ و٦) ويقول أبوالطيب اللغوي "الأضداد جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن وليس كل ما خالف الشيء ضدا له أن ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين وإنما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم فالاختلاف أعم من التضاد إذ كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين. (اللغوي، ١٩٦٣: ١)

في التضاد والطباق الموجودين في كلام الإمام ترسم الخطوط الحمراء للوالي وكيفية تصرفاته للجذب والدفع أو الإنضمام والإنفصال ويعطي الامام المعيارية في العمل ويحذره من العزائم الفاشلة أو الاختيارات النفسية.

الميزات الهامة التي يشير إليها الإمام في تبيين الحق عن الباطل تتجلي في استعماله الأمور المضادة وفي الكلمات المتضادة لتبيين المعايير ومنها:

الف) الفرائض والسنن والحدود الإلهية

ب) الإنصاف في مواقف الحب والكراهية

ج) معرفة الصديق والعدو في البلاء والرخاء

د) العدل في معاملة المحسن والمسي

ه) الحيلولة دون التشبه الحق بالباطل

والتضادات الماثلة في الرسالة هي طريق السلب وحينما يريد الإمام أن يشرح الخاصة والعامة لمالك الأشتر يذكر بالتضاد الموجود بينهما ويأمره أن يهتم بالعامة أكثر من الخاصة ويستدل بالمميزات الموجودة فيهم:

«ولْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ».

والتضاد في هذا النص التضاد السلبي، ويشرح الضد بالضد.

- فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا
- قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ
- لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ
- وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ
- وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ

- وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ المنع
- وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ
- فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ
- فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ
- فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ
- وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ
- فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ

هذه كانت أمثلة مفصلة نتجه فيها إلى تبيين التضاد ودوره في اتساق النص وهنا نروم أن نبين ما للتضاد من الدور في اتساق النص ونحن عندما نقول الحب يتبادر إلى اذهاننا وجود عكس هذه الكلمة وهي الكره وحينما نرى العدل فكأنما يبحث الذهن عن عكس هذه الكلمة وهي الجور وهكذا الأمر بالنسبة إلى (لَا يَسْعَدُ/ لَا يَشْقَى)، (الْإِعْطَاءِ/ المنع)، (نِعْمَةِ/ نِقْمَتِهِ)، (الْمُضْطَهَدِينَ/ الظَّالِمِينَ) وعلى هذا الأساس إن لم يكن في هذه العبارت التي سبق ذكرها، التضادات، فإن الجملة تكون خالية من المعنى.

يقوم الإمام بالتوالي في الإتيان بالتضادات لكي يتخلل في التضادات نتيجة سوء احتجاب الوالي عن الرعية:

> وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

وكافة هذه التضادات تشير إلى نقطة واحدة وهي احتجاب الوالي عن الناس.

- وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ
- وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ
- فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ

واعتقادا بأن الأشياء تعرف بأضدادها،التضاد الموجود بين المصطلحات المذكورة يمثل نوعا من التضام وذلك أن يتذكر الإنسان إحداهما بذكر الآخر فالإمام عليه السلام من أجل تحقيق الاتساق في النص يستخدم المتضادات لكي يقوم بتعريف الأشياء بأضدادها فيربط جزء من النص مع أجزاء أخرى.

ينظر الإمام إلى الناس كالناظرين لأمور الولاة والحكم على أفعالهم وينبه الوالي إلى الأخذ بآرائهم والتوجه إلى أحكامهم وهذا ينطبق أمرالله تعالي في كتابه الكريم: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (التوبة/١٠٥).

في حين يؤكد على الإحسان واللطف بالرعية إذ يذكرهم في مواقف كثيرة ويبين وظيفة الوالي أمامهم ويطلب منه:

الف) الإشعار القلبي والحقيقي بالمحبة واللطف للرعية

ب) عدم ممارسة الضغط والشدة في العمل

ج) الإعتدال والوسطية في التعامل مع الرعية

د) تكفل الأمور المادية لهم والاشراف المالي على الولاة لرعاية حقوقهم

النتائج

١. من خلال النصوص المشار إليها والتي نقلت عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، يوضح لنا ألفاظا استخدمها الإمام وكررت أكثر من غيرها وهي لفظ الجلالة والنفس والحق والحسن ومشتقاتهما والرعية. أيضا أكد الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر الرجوع إلى حكم الله سبحانه وتعالى في كل الأمور والتي تعتبر أهم سمة تحلى بها الوالي.

٢. وبالتكرار والتضام، الإمام يرسم الخطوط الحمراء للوالي وكيفية تصرفاته للجذب والدفع أو الانضمام والانفصال ويعطي المعيارية في العمل ويحذره من العزائم الفاشلة أو الختيارات النفسية.

٣. التكرارات التي تم توظيفها في هذا العهد تساعد على تكوين شبكة من النقاط الجديرة بالإهتمام في منظار الإمام وكما أشير سابقا من هذه النقاط الهامة هي الله سبحانه وتعالي حيث ينبه بمعالجة أمور الرعية والتصدي لحاجاتهم والنهي من الظلم والاستخفاف والإهمال في حقهم ويركز على حق الله فيهم والمسؤولية الكبيرة عند الله إزائهم.

٤. إنَّ في مجال التضمام نرى أن الشيء الذي هو الأكثر إلماما في الإتيان بالتضادات الموجودة هو التضاد السلبي في مستوى المفردات وله دور في إنشاء العلاقة بين أجزاء العهد. وفي التضادات تقوّم معرفة الإنسان بكنه الأشياء بسبب علاقة التضاد بعضها مع بعض ثم مع النص؛ إذن كل تكرار يصبح جزءاً من ذاكرة الإنسان وتلقائيا حينما يقرأ النص يتذكر بعض الكلمات أكثر من الأخرى. وهذا يجعل المخاطب أن يقوم بالترابط والاتساق في أجزاء النص ويثبت لديه المكررات كما يتمتع النص من الشفافية في مجاورة الكلمة مع مضادها وبمواجهة المخاطب تتابع المضادات يبحث في ذهنه عن علاقة كل تضاد مع البعض الآخر. وتأسيسا على هذا يرجع إلى ما سبق عليه في النص ولكي يفهم صلة السابق بالتالي فيتكون في ذهنه شبكة من المعلومات المرتبطة باسم النص ووجود هذه المعايير في رسالة الإمام إلى مالك الأشتر باعتباره نص حكومي، تشير إلى وجود الاتساق اللغوي في الرسالة.

٥. من خلال الاتساق اللغوي تتكون شبكة من المعلومات كاللوحة التي يلوح فيها بعض المصطلحات وبعض العلاقات وكل هذه العلاقات تتشابك بعضها بعضا وتجعل النص كلحمة واحدة وتشاهد فيها النقاط الرئيسة التي يجب أن يجعلها أي حاكم في العالم نصب عينيه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. علي بن أبي طالب عليه السلام. نهج البلاغة.

٢. أنيس، إبراهيم؛ ومنتصر، عبد الحليم؛ والصوالحي، عطية؛ والصوالحي، محمد (٢٠٠٤م). مصر: مكتب الشروق الدولية.

٣. ابن أبي الحديد (٢٠٠٧م). *شرح نهج البلاغة*. تحقيق: محمد ابراهيم، ج ٩، بغداد: دار الكتاب العربي.

٤. ابن الأثير، ضياء الدين (١٩٩٠م). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

٥. الأنباري، محمد بن القاسم (١٩٦٠م). *الأضداد*. الكويت: دائرة المطبوعات والنشر.

٦. جدرة، يمينة (٢٠١٤م). *الاتساق النصي في الخطاب الأدبي*. قصة الطائر الذي نسي ريشه للقاص زياد علي الليبي عينة، الجزائر.

٧. الحسيني، أبوالحسن يحيى بن حمزة (لا تا). *الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي*. ج ٥، تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل.

٨. الحموي، ابن حجة (٢٠٠٥م). *خزانة الأدب وغاية الأرب*. بيروت: دار صادر.

٩. خطابي، محمد (١٩٩١م). *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٠. الساحلي، منى علي سليمان (١٩٩٦م). *التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام*. بنغازي: جامعة قان يونس.

١١. السند، محمد (١٤٢٨هـ)، *بحوث معاصرة في الساحة الدولية*. قم: مركز الأبحاث العقائدية.

١٢. رمضان السيد، علاء الدين (١٩٩٦م). *ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث*. دمشق: اتحاد كتاب العراق.

١٣. الضناوي، سعدي؛ وجوزيف، مالك (٢٠١٣م). *معجم المترادفات والأضداد*. بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب.

١٤. عبدالراضي، أحمد محمد (٢٠٠٨م). *نحو النص بين الأصالة والحداثة*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

١٥. العسكري، الحسن بن عبدالله (٢٠٠٠م). *الفروق اللغوية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦. عفيفي، أحمد (٢٠٠١م). *نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي*. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

١٧. عيد، رجا (لا تا). *فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور*. الاسكندرية: دار المعارف.

١٨. الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠م). *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية*. ج١، القاهرة: دار قباء.

١٩. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (١٣٧٣هـ). *القاموس المحيط*. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

٢٠. اللغوي، أبوالطيب عبد الواحد بن علي (١٩٦٣م). *الأضداد في كلام العرب*. ج ١، تحقيق: عزت حسن، دمشق: المجمع العلمي العربي.

٢١. مصلوح، سعد عبدالعزيز (٢٠٠٣م). *في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية أفاق جديدة*. جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي.

٢٢. مصلوح، سعد عبدالعزيز (٢٠٠٤م). *في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات*. القاهرة: عالم الكتب.

٢٣. نور الدين، المنجد (١٩٩٩م). *التضاد في القرآن الكريم*. بيروت: دار الفكر المعاصر.